المدن التي رعت الثقافة الإسلامية في خانية مغول القفجاق

((٦٢٤-٨٠٨هـ/١٢٢٦-١٤٠٦))

Cities that Fostered Islamic Culture in the Mongol Kipchak Khanate

(٦٢٤–٨٠٨ AH / ١٢٢٦–١٤٠٦ CE)

م. د. زياد علاء محمود قداوي*

Lecturer. Dr. Ziad Alaa Mahmoud Qadawi

Email:Zeyadakadawi@gmail.com

https://orcid.org/٠٠٠٩-٠٠٠٥-٥٠١٧-٢٣٥٩

الملخص:

خانية مغول القفجاق حفلت بالعديد من المدن على امتداد المساحات الواسعة لهذه الخانية، وقد تحول معظم هذه المدن إلى مراكز حضارية كبرى رعت الثقافة الإسلامية افضل رعاية، وبتشجيع من خاناتها المسلمين ابتداء من عهد بركة خان (٦٥٤-٦٦٥هـ/١٢٥٦-١٢٦٧م)، وهذه الرعاية التمسنا اثارها من خلال ما عرضناه من معلومات موثقة عن توافد خيرة العلماء المسلمين من بلاد إسلامية مختلفة ليكون لهم دور ريادي في نشر الثقافة الإسلامية بعلومها المختلفة في العديد من مدن هذه الخانية وليكون لهم الفضل في تنشئة جيل من طلبة العلم ليأخذوا دورهم في تمكين الثقافة الإسلامية في بلادهم والمشاهدات التي اعتمدناها من مساجد ومسجد جامع وزوايا ومدارس واسماء علماء ونتاجاتهم الفكرية والمدن التي كانت موضع نشاطاتهم الثقافية ومجالس العلماء وتحديد ذلك لكل مدينة كل ذلك كان موضوع هذه الدراسة التي حملت عنوان "المدن التي رعت الثقافة الإسلامية في خانية مغول القفجاق ٦٢٤-٨٠٨هـ/١٢٢٦-١٤٠٦م".

الكلمات المفتاحية: خانية، مغول ، قفجاق، ثقافة، إسلامية، علماء، مدن، مسجد.

Abstract:

The Mongol Kipchak Khanate was characterized by numerous cities across its vast territories. Most of these cities evolved into major urban centers that significantly contributed to the development of Islamic culture under the

* مديرية تربية نينوى.

patronage and encouragement of their Muslim Khans, beginning with the reign of Berke Khan. The impact of this patronage is evident through documented evidence regarding the presence of distinguished Muslim scholars from various Islamic regions. These scholars played a pioneering role in disseminating Islamic culture and its diverse sciences throughout the Khanate's cities, thereby contributing to the formation of a new generation of students who later assumed a role in consolidating Islamic culture in their regions. This study—entitled "Cities that Fostered Islamic Culture in the Mongol Kipchak Khanate ٦٢٤–٨٠٨ AH / ١٢٢٦–١٤٠٦ CE"—examines these developments through the identification of key cities that functioned as centers of cultural activity. It is based on evidence related to mosques, congregational mosques (Masjid Jami), Sufi lodges (Zawiyas), and schools, while documenting the names of scholars, their intellectual contributions, and their scholarly circles.

Keywords: Khanate, Mongols, Kipchak, Islamic culture, scholars, cities, mosques.

المقدمة

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى أله وصحبه اجمعين.

أما بعد

تعد الفترة الممتدة بين ((٦١٦-٦٢٤هـ/١٢١٩-١٢٢٦م)) من اهم المراحل في تاريخ المغول، إذ شهدت توسعهم الكبير نحو الغرب، والشمال الغربي، وكان منها حملات جيشه في سهوب القفجاق لتصطدم بالقبائل التركية فيها مما ادى الى اخضاعها ودمجها ضمن الامبراطورية المغولية، وقد اسهمت هذه المرحلة في وضع الأسس الأولى لقيام خانية مغول القفجاق لاحقاً، والتي ضمت على أرضها العديد من المدن، والتي برزت أهميتها في رعاية الثقافة الاسلامية، وهذا ما سيهدف اليه البحث في بيان هذه الرعاية من خلال تسليط الضوء على ما كان لهذه المدن من دور في اقامة الكثير من المنشآت الدينية كالمساجد، المدارس، الزوايا، واستقطاب العلماء من مختلف البلاد الإسلامية والذين كان لهم الدور في تنشئة جيل من العلماء من سكان هذه المدن ساهموا في نشر الثقافة الإسلامية في بلدانهم.

قسم البحث إلى مبحثين وخاتمة وقائمة مصادر ومراجع

تناول المبحث الاول نشأة خانية مغول القفجاق وامتداداتها الجغرافية، والمبحث الثاني تناول أهم المدن التي رعت الثقافة الإسلامية فيها.

وقد واجهة الباحث صعوبات في الوصول الى ما كتب عنها نظراً لقلة المعلومات واقتصارها على عدد قليل من المصادر التاريخية، والتي كان أهمها رحلة ابن بطوطة وتلفيق الاخبار للرمزي في حين

باقي المصادر جاءت كتاباتهم عنها مقلة وعرضية، وما تم جمعه ساهم في كتابة هذه الدراسة وفق المنهج العلمي التحليلي في الكتابات التأريخية.

المبحث الأول: نشأة خانية مغول القفجاق

موطن المغول الذي يطلق عليه في عصرنا الحاضر تسمية جمهورية منغوليا الشعبية الواقعة بين الصين من طرفها الشمالي الغربي وروسيا الاتحادية من الجهة الجنوبية الشرقية، كانت في نهايات القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي تجوب أراضيها مجموعات قبلية رعوية تربو على (٣٩) قبيلة تنتمي بأصولها الى عنصر الترك [١]، وأشهرها قبيلة التتر والمنغكو، والكرايت والنابمان والمغول، وكانت هذه القبائل في حالة صراع دائم على مناطق النفوذ والاراضي الأكثر خصوبة [٢].

قدر لتيموجين الذي ينتمى لقبيلة مغول ان يوحد هذه القبائل تحت زعامته بعد حروب دامية استغرقت الربع الاخير من القرن السادس الهجري وليدعوا سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م زعامات القبائل التي دانت بالولاء له إلى مجلس توريلتاي ((اجتماع عام))[٣]، تقرر فيه اعمام تسمية اسم قبيلته مغول على جميع قبائل منغوليا، والغرض من هذا التعميم هو لرفع مكانت قبيلته أمام القبائل الأخرى التي كانت من قبل مستضعفة أمامها، وأقر في هذا الاجتماع الاجماع على زعامته ومنحه لقب جنكيز خان وهذا اللقب يتكون من مقطعين جنكيز تعني ابن السماء وخان تعني صاحب السلطة العليا أي أن سلطته مستمدة من السماء على شعبه ومن يخضع له [٤]، كما أقر في الاجتماع قانون الياس الذي حدد طبيعة العلاقة بين المجتمع المغولي [٥]، وبموجب هذا الاجتماع أعلن قيام دولة المغول.

---

(١) بارتولد: تاريخ الترك في أسيا، ترجمة احمد سعيد سلمان، مكتبة الانجلو المصرية، ص ٣٤.

(٢) الصياد، فؤاد عبد المعطي: المغول في التاريخ، منشورات دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٢٥-٣٠.

(٣) شبولر، برتولد: العالم الإسلامي في العصر المغولي، ترجمة، خالد أسعد عيسى، منشورات دار إحسان للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٢م، ص ٢٤؛ القزاز، محمد صالح داؤود: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، مطبعة القضاء، النجف، ١٩٧٠م، ص ١٥؛ Vladimircov, B. Y: Gengizhan, Ceviren, Hasan Aliediz, Bilim Eser Lieri Serisi, P. ١٤-١٥. Spulers, Bertold: Die Golden Horde Die Mongol in Rubland, wies paden, ١٩٦٥, P. ٦١٦.

(٤) النجار، رغد عبد الكريم: امبراطورية المغول "دراسة تحليلية عن التاريخ المبكر للمغول وتكوين الإمبراطورية والصراعات السياسية على السلطة ٦٠٣-٧٦٦هـ/١٢٠٦-١٢٦٥م"، منشورات دار غيداء، عمان، الأردن، ٢٠١٢م، ص ٦٤؛ بيان، ف: جنكيزخان سفاح الشعوب، ترجمة صوفي عبدالله، دار الهلال بمصر، ١٩٥١م، ص ١٠؛ باشا، حسن: الالقاب الإسلامية، القاهرة، ١٣٧٧هـ، ص ١٧١؛ شبولر: العالم الإسلامي، ص ٢٤.

(٥) الجويني، عطا ملك: تاريخ فاتح العالم جهانكشاي، نقله عن الفارسية: محمد التونجي، دار الملاح للطباعة والنشر، ١٩٨٥م، مج١، ص ٧١؛ بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله الى العربية، نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، منشورات دار العلم للملايين، ١٩٧٧م، ص ٣٨٣؛ لامب، هارولد: جنكيزخان امبراطور الناس كلهم، ترجمة، بهاء الدين نوري، مطبعة السكك الحديدية، بغداد، ص ٥١؛ الصياد: المغول في التاريخ، ص ٤٩.

شرع جنكيزخان بعد ان نظم شؤون دولته نحو التوسع فقاد سنة ٦١٢هـ/١٢١٥م حملة عسكرية كبرى تمكن فيها من القضاء على امبراطورية الكين الصينية واحتلال عاصمتها بكين[١]، وليتجه سنة ٦١٦هـ/١٢١٨م بحملة نحو بلاد المشرق الإسلامي ليحتل بلاد ما وراء النهر وايران في اعقاب إنهيار الدولة الخوارزمية التي لم تستطع جيوشها أن تصمد امام تقدمه [٢]، وما أعقب ذلك من احتلال جيشه بلاد القفقاس [٣] والتوجه شمالاً نحو بلاد القفجاق والتركستان الغربية لتخضع لحكمه[٤]، ولتتشكل من هذه الاراضي ما عرف باسم امبراطورية المغول، متخذا من قراقورم[٥] عاصمة لدولته [٦].

وقبيل وفاة جنكيزخان بأشهر من سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٦م، قسم امبراطوريته بين أبنائه الأربعة فمنح الابن الثاني جغتاي بلاد ما وراء النهر[٧]، وابنه الأصغر تولوي الموطن الأصلي للمغول منغوليا، أما الابن الثالث اوكتاي فمنح الاراضي الواقعة إلى الشمال الشرقي من بحيرة بلكاش وحوض نهر أيميد الوقع شرقي بحيرة بلكاش[٨].

---

(١) غروسيه، رينيه: جنكيزخان قاهر العالم، نقله إلى العربية خالد أسعد عيسى، منشورات دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٢م، ص ٢٥١-٢٥٣؛ مان، جون: كوبلاي خان ملك المغول الذي أعاد بناء الصين، ترجمة أحمد لطفي، منشورات هيئة ابوظبي للسياحة والثقافة، أبوظبي، ٢٠١٣م، ص ١٣-١٤؛ Bosworth, Clifford Edmund: The Islamic Dynastiesties, Edinburghat, ١٩٦٧, P. ١٤١.

(٢) عن اجتياح جنكيز خان بلاد ما وراء النهر وايران وانهيار الدولة الخوارزمية. ينظر التفاصيل: ابن الاثير، ابا الحسن بن ابي الكرم الشيباني الجزري: الكامل في التاريخ، منشورات دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م، ج٩، ص ٣٣٢-٣٣٧، ٣٤٣، ٣٤٦-٣٤٧، ٣٥٥-٣٥٦، ٣٧٤، ٣٨٣-٣٨٦؛ جاكسون، بيتر: المغول والعالم الإسلامي، ترجمة منى زهير الشايب، منشورات المركز القومي الترجمة، القاهرة، ٢٠٢٣م، ص ١٦٨-١٧٢.

(٣) ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص ٣٣٥-٣٤٠.

(٤) البانكتي، ابو سليمان: روضة اولى الالباب في معرفة التواريخ والانساب المشهور بتاريخ البانكتي، ترجمة محمود عبد الكريم علي، منشورات المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٤٠٧.

(٥) قراقورم، وتعني بلغة المغول الرمال السوداء، وتقع على ضفاف نهر اورخون في منغوليا. الجويني: تاريخ عطا ملك: تاريخ فاتح العالم جهانكشاي، نقله عن الفارسية، محمد التونجي، دار الملاح للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٨٥م، مج١، ص ٨٠؛ أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن علي: تقويم البلدان، مكتبة المثنى، بغداد، ص ٥٠٥.

(٦) لامب: جنكيزخان، ص ٨٠-٨١؛ النجار: امبراطورية المغول، ص ٦٥.

(٧) الجويني، عطا ملك: تاريخ فاتح العالم، مج١، ص ٧٤؛ العريني، السيد الباز: المماليك، دار النهضة العربية، ١٩٦٧م، ص ٤٢.

(٨) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي: تاريخ ابن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧١م، ج٥، ص ٥٠٦؛ العريني: المغول، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٧م، ص ١٥٨؛ الصياد، فؤاد عبد المعطي: المغول في التاريخ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠م، ص ١٦٤-١٦٥.

اما ابنه الرابع جوجي والذي هو أكبر أخوته فقد أختص ملكه الاراضي الواقعة غربي نهر ارتيش أي إقليم التركستان الغربية وما سيتم فتحه ضمن اقليم القفجاق امتداداً الى جزيرة القرم[١]، وهذا الامتداد الذي لم تتحقق السيطرة عليه على عهد جوجي الذي توفي قبل وفاة والده جنكيز خان بأشهر قليلة سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٦م ليتولى الحكم ابنه باتو بعد أن منحه جنكيز خان هذا التفويض، واطلق على مملكة باتو اسم خانية مغول القفجاق[٢] وسمية بهذا الاسم نسبة إلى سهوب القفجاق، وهذه التسمية جاءت بعد ان تمكن باتو ضمن حملته المغولية سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٥م من استكمال احتلال دشت القفجاق[٣] الواقع شمال بحر الخزر "قزوين" والى الاراضي الممتدة شمال البحر الأسود بما فيها جزيرة القرم، وبذلك تكون دولة خانية مغول القفجاق تضم كافة الاقاليم الممتدة من الحدود الغربية لنهر ارتيش بما فيها أراضي اقليم خوارزم واقاليم التركستان الغربية وعبر جبال اورال وحوض نهر الفولغا ودشت القفجاق وجزيرة القرم [٤]، وعلى أراضي هذا الامتداد الواسع تنتشر العديد من المدن القسم الأكبر منها تعود نشأتها إلى أزمنة أزمنة قديمة وواحدة منها يعود نشأتها الى باتو خان وهي مدينة السراي التي اتخذها عاصمة لدولته واستكمل توسعها على عهد بركة خان وقد كان لمدن خانية مغول القفجاق، دور حضاري مهم في تمكين الثقافة الإسلامية من الانتشار والتأثير في المجتمعات التي كانت تتكون منها دولة مغول القفجاق وبمساندة قويه من الخانات العظام المسلمين لهذه الدولة والتي كان لهم التأثير الأقوى في انتشار الإسلام بين مغول القفجاق ولتتحول هذه الخانية الى دولة إسلامية يحسب لها رعايتها للعلم والعلماء ولتنال المؤسسات الإسلامية الانتشار في كل مدينة وقرية، ولعل مشاهدات الرحالة ابن بطوله وابن عربشاه وغيرهم من الذين زاروا هذه البلاد يعطي لنا انطباع على مدى ازدهار الثقافة الإسلامية في هذه البلاد وهذا ما ستشير اليه ضمن اهم المدن ابتداءً من العاصمة سراي.

(١) الجويني: تاريخ فاتح العالم جهانكشاي، مج١، ص ٧٣؛ المقريزي، تقي الدين ابو العباس أحمد بن علي: السلوك لمعرفة دول الملوك، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧م، ج١، ق ٢، ص ٣٩٤-٣٩٥.

(٢) وترد خانية مغول القفجاق أيضاً باسم خانية القبيلة الذهبية نسبة إلى خيم معسكراتهم كانت قمتها موشحة بالون الذهبي. الصياد: المغول في التاريخ، ص ١٦٤.

(٣) الهمذاني، رشيد الدين فضل الله: جامع التواريخ "تاريخ خلفاء جنكيز خان من اوكتاي قا ان الى تيمور قا ان"، ترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣م، ص ١٢١؛ كيتشانوف. بي. أ: حياة تيموتشجين (جنكيز خان) الذي فكر في السيطرة على العالم، ترجمة طلحة الطيب، منشورات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ٢٠٠٥م، ص ٣٢١-٣٢٢.

(٤) النجار: امبراطورية المغول، ص ١٤٨-١٤٩؛ طقوش، محمد سهيل: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند، منشورات دار دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٧م، ص ١٩.

المبحث الثاني

المدن التي أسهمت في الثقافة الإسلامية في خانية مغول القفجاق

أولا: العاصمة سراي:

تعد العاصمة سراي اهم مركز حضاري احتضنت الإسلام ورعت الثقافة الإسلامية بكونها عاصمة لخانية مغول القفجاق.

يعود تأسيس العاصمة سراي الى باتو خان الذي بعد ان اتسعت دولته تطلب الامر ان يكون لها مركزاً لإدارة شؤون البلاد، وجرى الاختيار على الموقع الواقع على المجرى الأدنى لنهر الفولغا يطلق عليه اسم أق توبة القريب من قرية سلتر ينوي في عصرنا الحاضر والواقعة في منتصف الطريق ما بين مدينتي ستالينغراد الحديثة واسترخان، وفيها جرى اقامة العاصمة سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م على أن هذه المدينة لم تكن بمستوى مدينة فيها عمران فهي في بداية تأسيسها أشبه ما تكون بمدينة خيام هذا ما اكده الراهب الفرنسي روبروك مبعوث لويس التاسع ملك فرنسا الذي وصف خلال إقامته في بلاط باتو وهو في طريقه إلى عاصمة امبراطورية المغول قراقورم لمقابلة منكو خان وذلك سنة ٦٤٩هـ/١٢٥١م فيصف مدينة سراي بأشبه بمخيم كبير ابوابه مفتوحة الى الجنوب، وهو بهذا الوصف لم تكن سراي بمستوى مدينة فيها عمران على عهد باتو فهي اقرب الى معسكر خيام [١]، ولكن البناء والعمران اقيم فيها ابتدا من عهد بركة خان ((٦٥٤-٦٦٥هـ/ ١٢٥٦-١٢٦٧م)) الذي جعلها مدينة إسلامية البنيان بديعة الاركان اتخذها دار للملك واصطفاها له، وشجع اصحاب الفكر والثقافة من العالم الإسلامي للتوافد اليها ونشر الأفكار الإسلامية فيها "فاجتمع فيها من العلماء والفضلاء والادباء والظرفاء ومن كل صاحب فضيلة وخصلة نبيلة جميلة في مدة قصيره ما لم يجتمع مثلها في جوامع مصر"[٢]، واذا كان ما قاله بهذا الوصف عنها ابن عربشاه واضاف بانها "مجمع العلم ومعدن السعادات"[٣] وكلامه جاء من خلال مشاهداته لها بعد أن أقام فيها سنين عديده وتزوج احدى نسائها وولد له منها أولاد [٤]، يؤكد كل ذلك ما ذكره أيضا ابن بطوطه في رحلته لخانية بلاد القفجاق ومشاهداته لمدينة سراي في سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٥م

---

(١) لامب، هارولد: جنكيز خان وجحافل المغول، ترجمة، متري أمين، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ١٥٠-١٥٢؛ النجار: امبراطورية المغول، ص ١٥٠.

(٢) ابن عربشاه، أحمد بن محمد: عجائب المقدور في نوائب تيمور، تحقيق، أحمد فايز الحمصي، بيروت، ١٤٠٧م، ج ١، ص ٥٦-٥٧؛ الرمزي، م. م: تلفيق الاخبار وتلقيح الاثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، مج ١، ص ٤٠٥.

(٣) عجائب المقدور، مج١، ص ٥٧.

(٤) الدواربي، اسماعيل عبد الرحمن: إسلام المغول واثره العسكري والسياسي في قارتي اسيا واوربا (٦٥٣-١٢٧٧هـ/١٢٥٥-١٨٥٨م)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة ام درمان الإسلامية، ٢٠١٢م، ص ٣٩٧.

أي قبل اكثر من قرن من اقامة ابن عربشاه فيها فأشار في مدونته عن مدينة سراي بانها ساهمت في تمكين الثقافة الإسلامية في بلاد القفجاق من خلال ما أنِشئَ فيها من مدارس ومساجد وزوايا كان بإسهامات في معظمها من الخانات المسلمين لهذه البلاد والغرض منها حتى يحفظ النشئ الجديد القرآن الكريم ويعرف المغول قواعد الدين الإسلامي وعلومه فكان في سراي لوحدها ثلاثة عشر مسجد جامع وعدد كثير من المساجد غير الجامعة، والمساجد كان لها دور إضافة لكونها دور عباده فإنها في ذلك العصر كانت تقوم بدور المدارس في نشر العلوم المعرفية والشرعية[١] مع وجود مدارس متخصصه بالعلوم الفقهية [٢] ومنها المدارس التي بناها بركة خان واوزبك خان[٣]، وكانت كل مدرسة تختص بتدريس مذهب معين يقوم عليها معلمون ومدرسون متفقهون بالمذهب الخاص بهم فكانت الشافعية والحنفية والمالكية هي المذاهب الاكثر انتشاراً، ولكل مذهب قاض مختص بمذهبه [٤]، وبتشجيع من الخانات المسلمين لهذه البلاد وفد على العاصمة سراي خيرة علماء العصر لا سيما على عهد بركة خان وأوزبك خان (٧١٢-٧٤٢هـ/١٣١٢-١٣٤١م) ومن مختلف البلدان الإسلامية، والكثير منهم استقر وعاش في مدينة سراي، وكان لهم في هذه المدينة اسهاماتهم المؤثرة في التطوير الحضاري لهذه البلاد ومنهم على سبيل المثال الطبيب الفقيه الموصلي نجم الدين عبد الرحيم بن عبد الرحمن المتوفي سنة ٧٣٠هـ/١٣٣٠م والذي استقر في سراي والعالم الفقيه الامام صدر الدين سليمان اللكزي مدرس المدرسة الشافعية في سراي والتي من جملة مدرسي هذه المدينة أيضا العالم شمس الدين المصري الذي كان له صدى في ما كان يلقيه من محاضرات في العلوم الدينية [٥]، وبدر الدين الاعرج المقرب وصاحب المكانة الرفيعة عند أوزبك خان، وكان أكثر العلماء تأثيراً على أوزبك خان والعامة في مدينة سراي هو العالم الجليل نعمان الدين الخوارزمي [٦] الذي التقاه ابن بطوطه وحضر مجلسه العلمي وقال عنه ما

(١) ابن بطوطه، أبو عبدالله محمد بن عبدالله الطنجي: رحلة ابن بطوطه المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار، شرحه وكتب هوامشه طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١م، ص ٣٦٧-٣٦٨.

(٢) القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي: صبح الاعشى في صناعة الإنشا، طبع مصر، ج ٤، ص ٤٥٧؛ الدواربي: إسلام المغول، ص ٣٩٤.

(٣) ابن فضل الله العمري، شهاب الدين احمد بن يحي: مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق، كامل سلمان الجبوري، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٣، ص ١٤٤؛ الدواربي: إسلام المغول، ص ٣٩٠.

(٤) ابن بطوطه: رحلة ابن بطوطه، ص ٣٦٨؛ الطائي، سعاد هادي حسن ارحيم: دراسات في تاريخ الترك والمغول، منشورات دار مكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٥م، ص ٢٧٠.

(٥) الرمزي: تلفيق الاخبار، مج١، ص ٧٢١-٧٢٢.

(٦) ابن بطوطه: رحلة ابن بطوطه، ص ٣٦٨؛ الرمزي: تلفيق الاخبار، مج١، ص ٦٩٩.

نصه "الفقيه الامام العالم نعمان الدين الخوارزمي هو من فضلاء المشايخ حسن الأخلاف كريم النفع شديد التواضع والسيطرة على أهل الدنيا، يأتي اليه السلطان أوزبك زائراً في كل جمعة، ويقعد السلطان بين يديه – يستمع لعلومه – ويكلمه بالطف كلام ويتواضع له [١]، ومن المؤرخين من استقر في مدينة سراي ابن عربشاه الذي سبقت الاشارة اليه.

ومن العلماء الآخرين ذات الشهرة والتأثير ممن كانوا مقربين لاوزبك خان والمقيمين في العاصمة سراي الإمام حافظ الدين الخوارزمي الحنفي المعروف بالبزازي المتوفي سنة ٧٢٧هـ/١٣٣٧م ومن تصانيفه (الجامع الوجيز المشهور بالفتاوي البزازية)، و (شرح مختصر القدوري) في الفقه و (مناقب أبي حنيفة) ومن علماء النحو والمنطق والتفسير وأصول الدين العالم الجليل سعد الدين التفتازاني المولود سنة ٧٢٢هـ/١٣٢٢م والمتوفي سنة ٧٩٢هـ/١٣٩٠م ومن تصانيفه في النحو (ارشاد الهادي) وفي المنطق (تهذيب المنطق والكلام)، وفي التفسير (شرح الكشاف) و (كشف الأسرار وعدة الابرار) وكتاب في أصول الدين بعنوان (مقاصد الطالبيين في علم اصول الدين)، اما العلامة احمد الجندي الحنفي الصوفي المتوفي سنة ٨٠٣هـ/١٤٠١م فله العديد من المصنفات منها (الانوار التفريديه في شرح اربعين التوحيدية)، و (حاشية على الكشاف) وكتاب في (اسماء الله الحسنى) و (الشراب الطهور) في التصوف و (شرح اربعين النووي) و (شرح البردة) و (شرح الميديمية لابن الفارض) و (فردوس المجاهدين وشرحها) و (شرح الشفاء للقاضي عياض)[٢].

وبخصوص العلماء المنسوبين الى مدينة سراي فقد اورد لنا المؤرخ الرمزي شيوخ عدة اشهرهم الشيخ محمود بن قطلو شاه السرائي المتوفي سنة ٧٧٥هـ/١٣٧٣م والذي وصف بانه احد الائمة في الأصول والحكمة والطب في هذه المدينة [٣]، ويعد الشيخ محمود بن عبدالله ابو الثنا السرائي المتوفي سنة ٨٠١هـ/١٣٩٩م من العلماء المشهورين بعلم القراءات ونظم الفرائض وكان فصيح اللسان باللغة العربية والفارسية والتركية [٤]، وللعالم الشيخ يوسف بن حسن السرائي المتوفي سنة ٨٠٤هـ/١٤٠١م شروحات كثيرة في علوم الفقه [٥]، وثمة اسماء لآخرين من العلماء المنسوبين إلى مدينة سراي ولكن لم يحدد لنا الرمزي تاريخ عصرهم وسنة وفاتهم ولذلك لم نشر الى أسمائهم[٦].

---

(١) رحلة ابن بطوطه، ص ٣٦٨.

(٢) الرمزي: تلفيق الاخبار، مج١، ص ٤٠٥ وهامش ١، ٢، ٣، من الصفحة ذاتها وص ٧١١.

(٣) تلفيق الاخبار، مج ١، ص ٧١١.

(٤) الرمزي: تلفيق الاخبار، مج ١، ص ٧١١.

(٥) الرمزي: تلفيق الاخبار، مج ١، ص ٧١٥.

(٦) وللتفاصيل عنهم ينظر: تلفيق الاخبار، مج ١، ص ٧١٠-٧١١.

وبجهود هؤلاء العلماء الذين أشرنا لهم وآخرين لم نتوصل لمعرفتهم غدت العاصمة سراي مجمعاً لمختلف العلوم والمعارف الإسلامية كالفقه والبيان والمعاني والمنطق والاصول والفلسفة والطب وكانت اللغة العربية الميدان الأوفر حظاً في الكتابات في الجوانب التي تختص بالإسلام رغم ان اللغة السائدة كانت المغولية والتركية، كما ان الشعائر الدينة وقراءة القرآن كانت تؤدى باللغة العربية، فتعلم الكثير من سكان هذه البلاد اللغة العربية، وكان خانات وامراء القفجاق في العاصمة سراي يتلى القرآن باللغة العربية في مجالسهم ويخطب الخطباء أمامهم وفي الجوامع باللغة العربية وتترجم ايضا للسامعين بالتركية، وابن بطوطه لم يشر الى وجود مترجمين ما يدل على أن اللغة العربية كانت مفهومة عند الكثيرين من السكان، كما أن الكثير من علماء هذه المدينة وغيرها قد وفدوا إلى مصر زمن المماليك وغيرها من البلاد الإسلامية، فأتقنوا هذه اللغة وساهموا بعد عودتهم إلى مدينتم سراي في تثبيت اركانها وتوطين الثقافة الإسلامية فيها [١]، ولا شك ان مدينة سراي التي قصدها الكثير من التجار المسلمين كان قسم منهم من العلماء واصحاب الفكر ساهموا الى حد كبير في نشر ثقافتهم في هذه المدينة إلى جانب نشاطهم التجاري، وكان بعض من هؤلاء التجار قد رافقهم ابن بطوطه في رحلته الى مدينة سراي [٢]، وكان أكثر الوافدين اليها من التجار العراقيين ومن مصر والشام [٣]، ووقع على هؤلاء توثيق اواصر الصلات بين بلدانهم ومغول القفجاق فساهم هؤلاء بدور مهم في نشر الإسلام بين المغول [٤]، ولذلك لا غرابة في إرسال رسالة من العاصمة سراي يرسلها اوزبك خان سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م إلى السلطان الملوكي الناصر محمد سلطان مصر والشام يعلمه فيها على انتشار الإسلام في بلاد خانية مغول القفجاق وبامتداد هذا الانتشار الى حدود الصين [٥]، وبالتأكيد كان لعلماء المسلمين في سراي ومدن هذه البلاد الذين لقوا المساندة من خانات المغول المسلمين من دور في هذا الانتشار ونشر الثقافة الإسلامية في مجتمعاتهم.

---

(١) عبد الحليم، رجب محمد: انتشار الإسلام بين المغول، منشورات دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ١٤٦-١٤٧، ١٥٧-١٥٨؛ واشار الرمزي لعدد من هؤلاء العلماء والتفاصيل عنهم ينظر: تلفيق الاخبار، مج١، ص ٧١١، ٧١٣-٧١٤، ٧٢١.

(٢) رحلة ابن بطوطه، ص ٣٦٨.

(٣) ابن بطوطه: رحلة ابن بطوطه، ص ٣٦٨.

(٤) رجب، انتشار الإسلام، ص ١٧١.

(٥) الرمزي: تلفيق الاخبار، مج١، ص ٤٩٦؛ رجب: انتشار الإسلام، ص ١٧١.

ثانياً: مدينة بلغار:

مدينة بلغار الواقعة في اعالي حوض نهر الفولغا كانت عاصمة لمملكة البلغار، وهذه المملكة عرفت الإسلام وانتشر بين سكانها منذ مطلع القرن الرابع الهجري [١]، وكان لها دور ريادي في الحفاظ على القيم الإسلامية ونشر العقيدة ومقارعة القوى السياسية المجاورة لها والتي ناصبتها العداء لاسيما من الروس والخزر وعندما اجتاحت القوات المغولية أقاليم شمال بحر قزوين وامتداداً إلى جزيرة القوم، كانت مملكة البلغار في مأمن منها إلى حدود سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م لتكون اراضيها ضمن الأهداف التي ستعبر منها الجيوش المغولية الى بلاد الروس وبالتحديد نحو مدينتي موسكو ونفوغرد، وتفادياً لأي مواجهة مع المغول أعلن ملك البلغار إلهام خان تبعيته للمغول حفاظاً على مملكته من تخريب يطالها من قبل الجيش المغولي الذي كان يقوده باتو خان ثاني خانات مغول القفجاق [٢]، ومنذ هذا التاريخ غدت مدينة بلغار تحكم باسم المغول ولتتصهر بمرور الوقت ضمن خانية المغول كمدينة حالها كباقي المدن التابعة لخانية مغول القفجاف.

ونظراً لكون معظم سكان هذه المدينة من المسلمين ووصفها ابن فضل الله العمري بانها "دار إسلام ومستقر إيمان"[٣] لذلك كانت المظاهر الإسلامية في عاصمتهم بلغار قد تأصلت فيها، ولم تعد حديثة على سكانها، فتشير المعلومات عنها ان المساجد والجوامع فيها يعود انتشارها منذ القرن الرابع الهجري إلى جانب المدارس الدينية [٤]، التي كانت لا يقتصر التدريس فيها على الجوانب الشرعية والفقهية وانما شملت مختلف العلوم، فتخرج منها تلاميذ أصبح الكثير منهم علماء اجلاء ساهموا في نشر الدين الإسلامي في ارجاء بلادهم وما كان يحيط بهم من امم، ودورهم هذا غدا رياديا في نشر الإسلام بشكل أكثر فاعلية بعد اعلان بركة خان مغول القفجاق إسلامه بداية حكمه سنة

---

(١) للتفاصيل عن هذه المملكة وإسلام شعبها ينظر: ابن فضلان، احمد بن عباس بن راشد بن حماد: رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالية، تحقيق، محمد سامي الدهان، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، دمشق، ١٩٥٩م، ص ١١٨-١٣٤؛ المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرحه وقوم له، مفيد محمد، منشورات دار الكتب العلمية، مج ٢، ص ٢٠٥؛ الرمزي: تلفيق الاخبار، مج١، ص ٢٧٠-٣٠١.

(٢) الرمزي: تلفيق الاخبار، مج١، ص ٣٦٦؛ طقوش: تاريخ مغول القبيلة الذهبية ص ٢٠ الهامش (١)؛ رجب: انتشار الإسلام، ص ١٠٩.

(٣) مسالك الابصار، ج٣، ص ١٥٠.

(٤) الرمزي: تلفيق الاخبار، مج ١، ص ٢٩٤.

٦٥٤هـ/١٢٥٦م [١] فكان السند لهم في حرية نشر الإسلام في بلاده، فتحول الكثير من القبائل في دولة مغول القفجاق من الوثنيين على يد الدعاة البلغار الذين كانوا يشاركوهم العادات والتقاليد والمعرفة اللغوية واساليب حياة المسلمين، وكان اشهر هذه الجماعات الوثنية التي دخلت الإسلام بفضل علماء البلغار هم قبائل جواش وجرمش اللتين كانت مساكنهم تقع على الحدود الشمالية والجنوبية من مدينتهم [٢].

ولم يتوقف دورهم عند حدود ما بين القبيلتين بل كان علمائها يسيرون في الطريق الصحيح لاكتساح مظاهر الوثنية في هذه البلاد وجهودهم لم تتوقف عند حدود القبائل المجاورة لهم بل امتدت الى ما وراء جبال الاورال في بلاد التركستان الغربية، واستمر نشاطهم حتى بعد انهيار دولة مغول القفجاق وانقسامها إلى إمارات مغولية وليؤسس البلغار امارة مستقلة لهم بعد تدمير مدينة بلغار من قبل الروس سنة ٨٣٤هـ/١٤٣١م وفيها اتخذ البلغار موقعاً بديلاً إلى الشمال منها ليقيموا عليها عاصمتهم التي عرفت باسم قازان فأخذ يطغى على اسم البلغار تسمية القازانيين الذين كان لهم دوراً مهماً ونشطاً في نشر الإسلام وعلومه على الكثير من القبائل السيبيرية ضمن الأراضي الواقعة بين نهري ايرتش وأوب والتي كانت تقع ضمن إمارة سيبيريا المغولية [٣]، وعلماء البلغار قد وصلوا اليها في زمن قوة دولة مغول القفجاق، وخانات هذه الامارة اسماءهم إسلامية، ما يدل على ان الاسلام كان قد انتشر بينهم [٤].

وعلماء مدينة بلغار لم يستثنوا جهدا في أن تكون لهم مكانة في التواصل مع معالم الثقافة الإسلامية في العديد من المدن الإسلامية، فقد كانت لهم نشاطاتهم وحواراتهم مع الكثير من العلماء المسلمين الذين التقوهم أثناء ادائهم مناسك الحج في مكة والمدينة او في مدن كالقاهرة وبغداد وبخارى

(١) للتفاصيل عن إسلام بركه خان وتأثيره في انتشار الإسلام في بلاده ينظر: المنصوري الدوادار، ركن الدين بيبرس: زبدة الفكر في تاريخ الهجرة، تحقيق، دونالد ريتشارد، منشورات الشركة المتحدة، بيروت، ١٩٩٨م، ص ١٤؛ ابن فضل الله العمري: مسالك الابصار، ج٣، ص ١٤٩؛ ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن يوسف: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق احمد يوسف نجاتي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م، ج٤، ص ٧٩؛ أرنولد، سير توماس: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة، حسن إبراهيم حسن وأخرين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ١٩٧.

(٢) خرباوي، باسيلوس: تاريخ روسيا منذ نشأتها حتى الوقت الحاضر، طبعة نيويورك، ١٩١١، ص ١٢٦.

(٣) عن امارة سيبيريا المغولية ينظر التفاصيل عنها: الدواربي: إسلام المغول، ص ٢٤٥-٢٤٦؛ السرجاني، راغب: الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ج٢، ص ٣٣.

(٤) رجب: انشار الإسلام، ص ١٣٤.

الواقعة في بلاد ما وراء النهر او مدينة تبريز في اقليم اذربيجان ومدن كثيرة اخرى اشار اليها المؤرخ الرمزي وذكر تفاصيل تلك النشاطات التي لا مجال هنا لذكرها لسعت تفاصيلها[١].

وما يؤسف له ان الرحالة ابن بطوطه في رحلته إلى بلاد القفجاق قد زار مدينة بلغار لكنه لم يذكر لنا عن اهميتها الحضارية والثقافية كمدينه إسلامية لعبت دوراً مهماً في نشر الإسلام سوى القول ((ووصلتها في رمضان سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٦م) فلما صلينا المغرب أفطرنا، واذن بالعشاء في اثناء إفطارنا فصليناها، وصلينا التراويح والشفع والوتر، وطلع الفجر اثر ذلك ... واقمت بها ثلاثاً))، دون أن يشير لنا أي معلومات عنها ولينجذب في الحديث عن ما سماها بأرض الظلمة ويقصد بها الاراضي السيبيرية ووصف ما فيها من موارد اقتصادية [٢]، وكل ما عثرنا عن هذه المدينة من وصف لها على ما جاء ذكره عند المؤرخ الرمزي في تتبع أثار هذه المدينة التي اشار بان الروس قد دمروا كل معالمها ولم يبقى منها سوى أثار للمسجد الجامع تشغل جدرانه الخارجية طولاً أكثر من ١١١ قدماً وعرضها ٩٨ قدماً وفي زواياه جدران المنائر الاربعة وسمك ما بقيّ منه عشرة أذرع، كما توجد أثار منارة كبيرة عند موضع الباب الرئيس وحدد تاريخ بنائها بحدود سنة ((٦٦٨هـ/١٢٧٠م)) والاشارة الاخرى ذكر ما يعرف عند الروس بآثار القصر الاسود والذي كان في الاصل مدرسة عثر فيها على قطعة حجر ضمن جدار تؤرخ بناء هذه المدرسة بسنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م، وعليها اثار لفظ باسم شيخ الإسلام وفي شرقي هذه المدرسة توجد قبة منارة تعرف ((بالمنارة الصغيرة)) ودلالة ذلك ان المدرسة كان لها مسجد ملحق بها هذا كل ما بقي من اثار لهذه المدينة [٣].

ومدينة بلغار كانت مقصداً لكثير من العلماء المسلمين الذين أقاموا فيها وقسم منهم عاش فيها سنين طوال تأثروا بعلمائها واثروا فيهم ولشدت تأثرهم بكنوز هذه المدينة العلمية اطلق العديد منهم على اسمه لقب البلغاري ولعل اشهرهم القطب الكبير حسن صلاح الدين بن عمر الملقب بالبلغاري مولده في مدينة نخجوان من بلاد اذربيجان وانجذب إلى مدينة بلغار وهو بحدود سن الثلاثين فأقام فيها تسع سنين لقي فيها المشايخ الكبار في حوارات ودورس نافعة وتتلمذ على يده الكثير من العلماء منهم الشيخ عمر الباغستاني واخرين، وكانت وفاة البلغاري سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٩م ودفن في مدينة تبريز [٤]، ومن علماء بلغار ومشاهيرها القاضي ابو العلاء حامد البلغاري الذي عاصر دولة مغول القفجاق وجاء في ما ذكر من أوصاف عنه على لسان تلميذه سليمان بن داود السقسيني من عبارات تدلل على أن ابو العلاء كان

---

(١) تلفيق الاخبار، مج١، ص ٣١٧-٣٣٠.

(٢) رحلة ابن بطوطه، ص ٣٥٠-٣٥١.

(٣) تلفيق الاخبار، مج١، ص ٣١٣-٣١٤.

(٤) الرمزي: تلفيق الاخبار، مج ١، ص ٣٢٩.

عالماً ومفسراً جليلاً إلى جانب تصدره في القضاء في مدينة بلغار فجاء ما نصه من أوصاف عنه "الشيخ الامام الاجل الاستاذ فخر الائمة غيات الامة شمس الشريعة قامع البدعة محي السنة زين المذكرين تاج المفسرين ابو العلاء حامد بن ادريس القاضي البلغاري"[١]، والسقسيني هو الاخر يعد من أشهر علماء بلغار في هذا العهد وله العديد من المؤلفات أشهرها كتاب في الوعظ سماء زهرة الرياض ونزهة القلوب المراض والكتاب مرتب على سبعة وستين باباً [٢]، وفي اصول الدين كان للشيخ برهان الدين بن خضر البلغاري كتاب سماه أصول الحسامي انتهى من كتابته سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م[٣].

ولم تتوقف نشاطات علماء مدينة بلغار عند حدود تأليف الكتب فكانت لهم في مدينة بلغار مجالس العلم فيها تجرى نشاطات على مستوى عالٍ في مختلف العلوم وفي العلوم الدينية كانت تمنح الاجازات لتلاميذهم وتؤرخ منح تلك الاجازة بالشهر واليوم والسنة ومنها على سبيل المثال ما وجد في كتاب اصول البزدوي للشيخ ابراهيم ابن الشيخ ابراهيم خواجة إجازة مكتوبة له من طرف شيخه صدر الدين بن علاء الدين البلغاري مؤرخة في اليوم الثاني والعشرين من شوال سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٤م[٤]، وثمة علماء آخرين لم يحدد لنا في اي عصر عاشوا في عصر دولة مغول القفجاق ام قبلها ومن هؤلاء العالم الشيخ ابراهيم بن يوسف البلغاري المتبحر في علم الفلسفة والشيخ محمد البلغاري الذي له كتاب في الموعظة والحديث والفقه سماه "خزينة العلماء وزينة الفقهاء"[٥].

ثالثاً: مدينة الحاج ترخان:

مدينة الحاج ترخان وفي عصرنا الحاضر يطلق عليها استرخان [٦]، والحاج ترخان تعني بلغة المغول الموضع المحرر من المغارم، تقع عند دلتا نهر الفولغا حيث يتفرع قبل ان يصب في بحر قزوين (الخزر)[٧]، وصفها ابن بطوطة عند زيارته لها "بانها من احسن المدن عظيمة الأسواق تقع على على نهر أتل"[٨] – الفولغا – وأهمية هذه المدينة تنبثق من الاهتمام الكبير الذي كان قد ابداها خانات مغول القفجاق واسرهم لها فكانت بمثابة العاصمة الثانية لدولة مغول القفجاق وكان أكثرهم اقامة فيها

(١) الرمزي: تلفيق الاخبار، مج ١، ص ٣٢٤-٣٢٥.

(٢) الرمزي: تلفيق الاخبار، مج ١، ص ٣٢٤.

(٣) الرمزي: تلفيق الاخبار، مج ١، ص ٣٢٦.

(٤) الرمزي: تلفيق الاخبار، مج ١، ص ٣٢٥.

(٥) الرمزي: تلفيق الاخبار، مج ١، ص ٣٢٧.

(٦) السرجاني: الموسوعة الميسرة، ج٢، ص ٣٢-٣٣.

(٧) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ٣٥٥ والهامش رقم (١).

(٨) رحلة ابن بطوطة، ص ٣٥٥.

السلطان اوزبك ولأشهر من السنة [١]، وفيها يستقبل ويرعى العلماء المسلمين الوافدين للمدينة ومدينة حاج ترخان يغلب عليها الطابع الإسلامي من حيث انتشار المساجد والمسجد الجامع، وحالها كباقي المدن أن التقاضي لا يتم بين المسلمين فيها الا أمام القاضي ولكل مذهب قاضي يقضي بين الناس بما يتوافق مع مذهبه [٢].

ومدينة حاجي ترخان زخرت بالعديد من العلماء الذين ينتسبون اليها اشهرهم الشيخ الامام العالم عبد الوهاب تاج الدين ابو الفضل المولود بحاجي ترخان سنة ٨١٣هـ/١٤١١م ونشأ فيها مقتديا بوالده في الاشتغال بالعلم موظباً عليه وقال عنه المؤرخ الرمزي ان علومه أخذ عن ابيه وعن غيره إلى أن برع وتميز بين أقرانه، وكان في الفضائل قريباً من ابيه او مساويا له، وله مؤلفات كثيرة أعتمد عليها الكثير من العلماء [٣]، ومن العلماء الآخرين الذين أقاموا في حاجي ترخان عصام الدين شيخ الإسلام السمرقندي وحدد ذلك سنه ٨١٤هـ/١٤١٢م، كما كان للمؤرخ ابن عربشاه له الحضور في المجالس العلمية التي كان يقيمها شيخ الإسلام السمرقندي في مدينة حاجي ترخان التي زارها ابن عربشاه خلال هذه السنة [٤].

رابعاً: مدينة الماجر:

وتسمى أيضاً ماجار، وتقع شرق مدينة ازاق على نهر تان الذي يصب في البحر الأسود معظم سكانها من المسلمين، وتزخر فيها الحياة الإسلامية، والتسمية جاءت في الاصل من قبائل المسمى بذات هذه التسمية، والماجر هم من بقايا قبائل ترك الهون الذين استوطنوا ارض هذه المدينة في القرن الخامس الميلادي[٥]، وكان معظم سكانها يشتغلون في الزراعة، وعندما احتل المغول بلاد القفجاق واقاموا دولتهم فيها دخلت مدينة الماجر تحت حكمهم، واخلصوا لها بإعلان معظم شعبها الإسلام على عهد اوزبك خان، ووصف ابن بطوطة اثناء زيارته لهذه المدينة بانها "مدينة كبرى من احسن مدن الترك، على نهر كبير، وبها البساتين والفواكه الكثيرة [٦]، وعرف عن أهلها تمسكهم بأخلاق الإسلام وكثرة تصدقهم على الفقراء حسن معاملتهم للنساء، واحترام الغرباء وتقديم العون لهم عند الحاجة وقيسارية المدينة فيها ما يقصدها التجار من شتى البلدان ما فيها من بلاد الاندلس وللمدينة مسجد جامع وعدد من المساجد والزوايا اشهرها زاوية الشيخ العابد محمد البطائحي من بطائح العراق، وفي زاويته

(١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ٣٥٥.

(٢) عبد الحليم: انتشار الإسلام، ص ١٤٩.

(٣) الرمزي: تلفيق الاخبار، مج ١، ص ٧٢٣.

(٤) الرمزي، تلفيق الاخبار، مج ١، ص ٧٢٣.

(٥) الرمزي: تلفيق الاخبار، مج١، ص ٢٣٥، ٦٩٩.

(٦) رحلة ابن بطوطة، ص ٣٤٢.

اكثر من سبعين من المتزهدين من العرب والفرس والترك والروم والذين يأخذون علومهم من البطائحي الذي هو موضع تبجيل من السلطان اوزبك وخواتينه ويجزلون العطاء الكثير في كل زيارة له، ومن علماء الماجر الكبار خطيب وامام مسجد الجامع عز الدين البخاري الذي له عدد من الطلبة والقراء يتتلمذون ويقرؤون ما يطلب منهم من علوم دينية في مجلسه هذا فضلاً عن ان امير المدينة وعلية القوم وعامتهم كانوا يحضرون دروس الوعظ والذكر التي كان يقيمها مع طلبته في مسجد الجامع [١].

خامساً: مدن شبه جزيرة القرم:

تقع شبه جزيرة القرم في الطرف الشمالي الغربي من البحر الاسود وهي من ضمن الاقاليم التي كانت تابعة لخانية مغول القفجاق، وضمت القرم بحدود أربعين بين مدينة وبلدة صغيرة [٢]، والغالبية من سكان هذا الاقليم من عنصر المغول ولهذا الطابع الإسلامي كان هو السائد على جميع شبه جزيرة القرم، وما ذكر عن هذا الاقليم في بعض المصادر العربية والأجنبية وعلى قلتها فإنها تعطي لنا صورة واضحة عن الجوانب الحضارية والثقافة الإسلامية في هذا الاقليم والذي كانت تدرس في مدنه مختلف العلوم الإسلامية وأهم هذه مدن:

١- مدينة القرم:

مدينة القرم التي تقع في الجزء الشمال الأوسط من بر شبه جزيرة القرم والتي زارها ابن بطوطه وشاهد أهم معالمها الحضارية متمثلة بالمسجد الجامع الذي عمره السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون، ومن الزوايا التي ذكرها زاوية الشيخ زاده الخرساني الذي التقاه ابن بطوطه واشاد به وذكر بأنه معظم عند سكان المدينة يقصده من مختلف فئات المجتمع بمن فيهم القضاة والخطباء والفقهاء [٣]، ومن جهة العلماء الذين التقاهم أيضاً القاضي الاعظم شمس الدين السائلي قاضي الحنفية وقاضي الشافعية الامام خضر، ومدرس المدرسة الشافعية علاء الدين الاصي وخطيب وامام المسجد الجامع أبا بكر والشيخ الحكيم الصالح مظفر الدين [٤].

ومدينة القرم حافظت على مكانتها العلمية في الفترات المتأخرة من القرن الثامن ومطلع القرن التاسع الهجري وهي فترة لازالت دولة مغول القفجاق قائمة، إذ يحدد تاريخ انهيارها بسنة ٨٢٦هـ/ ١٤٢٣م فيذكر لنا المؤرخ الرمزي في ترجمة سيد احمد بن عبدالله القرمي المتوفي سنة ٨٦٢هـ/١٤٥٨م

(١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ٣٤٢-٣٤٣؛ الرمزي: تلفيق الاخبار، مج١، ص ٢٣٧-٦٩٩.

(٢) القلقشندي: صبح الاعشى، ج٤، ص ٤٥٩؛ الدواربي: إسلام المغول، ص ٣٩٩.

(٣) رحلة ابن بطوطة، ص ٣٣٧.

(٤) رحلة ابن بطوطة، ص ٣٣٧.

ما نصه على لسان هذا العالم فقال "كنا نسمع ان بها ستمائة مفت وثلاثمائة مصنف وانها بلدة معمورة بالعلم والصلاح"[١]، ومن علمائها المشهورين أيضاً والذين عاصروا دولة مغول القفجاق في آواخر عهدها ضياء الدين بن سعدالله بن محمد القرمي، برزت شهرته في علوم التفسير والعربية والمعاني والبيان والفقه وكان يفتى في بلاده على مذهب أبي حنيفة النعمان[٢]، والشيخ ركن الدين حمد بن محمد بن عبد المؤمن القرمي تضلع في علوم المنطق، كما أن له شروح كثيرة في الفقه [٣]، وكان العالم الفاضل شرف الدين بن كمال القرمي جامعاً لعلوم الدين قرأ في مدينة القرم جميع العلوم الشرعية على يد اساتذة اجلاء وكتب له المولى حافظ الدين البزازي إجازة في علوم الفقه سنة ٨٠٥هـ/١٤٠٣م وكان له دروس علمية وحضور متميز في القرم، وله تصانيف كثيرة في ميدان العلوم الشرعية [٤].

ومدينة القرم انتسب اليها عدد آخر من العلماء الذين كانت اقامتهم في القاهرة ومنهم القاضي اسحاق بن ابراهيم القرمي المتوفى سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٦م، تولى قضاء العسكر ومشيخة مدرسة قايتباي في القاهرة على عهد دولة المماليك الجركسية [٥].

٢- مدينة أزاق:

تعد مدينة أزاق من اشهر موانىء شبه جزيرة القرم ومنحها موقعها شمال بحر القرم "أزوف" أهمية في سهولة وصول التجار عن طريق البحر اليها من الجنويين نسبة إلى مدينة جنوه والبيزنطينيين ومن البلاد الإسلامية للمتاجرة مع التجار الروس ومن كان يقصدها من تجار غرب بلاد القفجاق، وهذا النشاط التجاري جعلها من المدن المزدهرة اقتصادياً فانعكس ذلك على الجوانب الحضارية والعمرانية فيها ووصفها ابن بطوطة بانها حسنة العمارة ومقصد التجار فيها العديد من المركز الدينية الإسلامية تدرس فيها مختلف العلوم الشرعية وعلى مقربة من المدينة رباط ينسب للخضر وألياس عليهما السلام واشهر الزوايا فيها زاوية الشيخ رجب النهر ملكي الذي التقاه ابن بطوطة، كما التقى بأمير أزاق محمد خواجة الخوارزمي وقاضي المدينة دون أن يذكر لنا اسمه مع عدد من طلبة التعليم لمدينة أزاق، وحضر ابن بطوطة مجلساً لتكريمه حضر فيه أعيان المدينة وعدد من قضاتها وخطبائها وعلمائها وبعد الغداء

---

(١) الرمزي: تلفيق الاخبار، مج ١، ص ٦٩٧ ولأحمد القرمي مصنفات عديده في الفقه وعلوم المعاني والبيان وللطلاع نفس المصدر م١ الحاشية رقم (٣) من ص ٦٩٧.

(٢) الرمزي: تلفيق الاخبار، مج١، ص ٧٠٩-٧١٠.

(٣) الرمزي: تلفيق الاخبار، مج١، ص ٧٠٧-٧٠٨.

(٤) الرمزي: تلفيق الاخبار، مج١، ص ٧٠٩.

(٥) الرمزي: تلفيق الاخبار، مج١، ص ٧٠٨.

صعد الواعظ المنبر وجلس القراء بين يديه، وخطب خطبة بليغة باللغة العربية وتترجم للتركية وبعدها قرأ القراء آيات من القرآن الكريم، ولهذا الوصف اثنى ابن بطوطة على هكذا مجالس فيها الذكر [١].

٣-مدينة سوداق:

وتسمى أيضا سوداق وفي عصرنا الحاضر باسم سولدايا موقعها في شبه جزيرة القرم تطل على البحر الاسود مما جعلها ميناءً مهما عبر التاريخ، فكانت مقصدا للتجار من مختلف البلدان، وأكثر ما قصدها التجار الجنوبين حتى شكل هؤلاء الاكثرية بين سكانها على عهد دولة مغول القفجاق، وبالنسبة للمسلمين فكانت لها مساجدهم ومراكزهم التعليمية [٢]. وضمت المدينة علماء وفقهاء بارزين متنقلين ضمن حدود خانية مغول القفجاق، ولا توجد أسماء معينة ذكرتها المصادر كعلماء مستقرين في المدينة.

٤-مدينة أكفا:وتسمى أيضا بمدينة كافا وتسمى في وقتنا الحاضر باسم فيودوسيا وموقعها على الساحل الجنوبي الشرقي لشبة جزيرة القرم على البحر الأسود، يقصد مينائها تجار من مختلف البلدان، والغالبية من التجار الجنوبين وأكثر سكانها من النصارى، وفيها من المسلمين كأقلية لهم مساجدهم ومسجد جامع ويؤدون شعائرهم وثقافتهم الإسلامية وسمع ابن بطوطة فيها القراءات على يد بعض علمائها كما التقى بقاضي المسلمين فيها [٣].

وهناك ايضا عدد من المدن الصغير التي كان غالبية سكانها من المسلمين المغول على قدر من الثقافة والعلم فقد كان لهم مدارسهم ومساجدهم في هذا الاقليم كمدينة بركوب وجوسليف وصلفات[٤]، والعلماء فيهم متنقلين غير مقيمين.

واخيراً بهذا العرض والاستقصاء عن المعارف الثقافية الإسلامية في عهد خانية مغول القفجاق والتي كانت نهاية العرض بانهيار هذه الدولة وانقسامها إلى إمارات عدة حملت كل منها مسميات بأسماء المدن والاقاليم التي قامت عليها ابتداء من مقتل اخر خاناتها العظام توقتاميش سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٦م [٥]، وبهذا التاريخ اختتمت هذه الدراسة.

---

(١) رحلة ابن بطوطة، ص ٣٤٠-٣٤١.

(٢) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ٣٩، ٣٤٥، ٣٥٦؛ القلقشندي: صبح الاعشى، ج٤، ص ٤٦٠؛ Howarth, Henry: The History of Mongol from the ٩th to the ١٩ Century, London, ١٨٨٠, Vol, ٢, P, ٦٢٣-٦٢٤.

(٣) رحلة ابن بطوطة، ص ٣٣٥ والهامش (١) وص ٣٣٦.

(٤) الدواربي: إسلام المغول، ص ٣٣٩.

(٥) عن توقتاميش وانهيار دولته ينظر التفاصيل. الرمزي: تلفيق الاخبار، مج١، ص ٥٩٧.

الخاتمة

قد تم التوصل إلى نتائج مهمة يمكن تلخيصها بالنقاط الآتية:

أولاً: يمكن اعتبار الفترة (٦١٦-٦٢٤هـ/١٢١٩-١٢٢٦م) مرحلة تأسيس في تاريخ مغول القفجاق حيث شهدت اخضاع المنطقة ودمجها ضمن النظام المغولي، وانتهت ببداية ظهور كيان سياسي شبه مستقل سيؤدي لاحقاً دور مهماً في التاريخ الإسلامي والعالمي.

ثانياً: يعود تأسيس خانية مغول القفجاق الى عهد جنكيز خان عندما قسم امبراطوريته بين أبنائه الأربعة جغتاي وتولوي واوكتاي وجوجي وكان نصيب جوجي اقليم التركستان الغربية امتداداً إلى بلاد القفجاق واطلق على هذا الامتداد تسمية خانية مغول القفجاق ولتتوسع على عهد ثاني خاناتها باتو خان (٦٢٤-٦٥٤هـ/١٢٢٦-١٢٥٦م) لتشمل الأراضي الممتدة على طول الساحل الشمالي للبحر الاسود بما فيها جزيرة القرم.

ثالثاً: لم تظهر خانية مغول القفجاق اي دور حضاري خلال الفترة التي حكم فيها باتو خان وبقى شعب المغول على بداوتهم دون ان يتركوا لنا ما يؤكد تخليهم عن بداوتهم أو تركهم اثر حضاري يلتمس منه على حدوث تغير في طباعهم. وما ذكر عن تأسيس عاصمة لدولتهم باسم سراي على عهد باتو فهي لا تعدو أن تكون مدينة خيام.

رابعاً: التحول الكبير الذي غير طباع المغول من شعب متوحش الى شعب متحضر في خانية مغول القفجاق حدث بعد اعتناقهم الإسلام ابتدأ من عهد ثالث خاناتهم بركه خان (٦٥٤-٦٦٥هـ/١٢٥٦-١٢٦٧م) ولتترسخ مفاهيم الإسلام في حياتهم لتصبح مصدر قوة وعظمة وحضارة.

خامساً: الإسلام أصبح مصدر إلهام الخانات المغول المسلمين ولشعبهم وهذا ما يمكن ان نتلمسه من دور هؤلاء في تمكين الثقافة الإسلامية في بلادهم لا سيما في مدنهم الرئيسية.

سادساً: غدت العاصمة سراي اهم المراكز الإسلامية في هذه البلاد فما كان فيها من ثلاثة عشر مسجد جامع ومساجد أكثر لم يكن دورها للعبادة فقط وانما كان لها دور مضاف تقوم مقام المدارس في نشر المعارف الإسلامية والشرعية فضلاً عن وجود مدارس متخصصة في العلوم الفقهية.

سابعاً: وبتشجيع من الخانات المسلمين لهذه البلاد وفد على العاصمة سراي خيرة علماء العصر ومن مختلف البلدان الإسلامية، وكان لهم اسهاماتهم المؤثرة في التطور الحضاري لهذه البلاد، فغدت العاصمة سراي بهؤلاء مجمعاً لمختلف العلوم والمعارف الإسلامية.

ثامناً: وتخرج من المجالس العلمية لهؤلاء العلماء العديد من المشايخ العلمية التي اشرنا إلى أسماء البعض منهم فساهموا بنشاط في تمكين الثقافة الإسلامية في بلادهم.

تاسعاً: وتعد مدينة بلغار التي شعبها عرف الإسلام وآمن به منذ مطلع القرن الثالث الهجري من أهم المدن التي كان لعلمائها اسهاماتهم في نشر العقيدة الإسلامية على ارجاء مختلفة من دولة مغول القفجاق فعلمائها وصلوا إلى عمق الأراضي السيبيرية لتثمر جهودهم في إسلام العديد من قبائلها، ولم يقتصر دور علمائها عند حدود نشر الدعوة بل كانت لهم اسهاماتهم الثقافية والعلمية، ولعل ما ذكرناه من أسماء عدد من علمائها ونتاجاتهم في مختلف التخصصات في العلوم الدينية مثالا على ذلك.

عاشراً: وهناك مدن أخرى كان لها اسهاماتها في تمكين الثقافة الإسلامية في هذه البلاد ومنها مدينة الحاج ترخان التي زخرت بالعديد من العلماء الذين ينتسبون اليها، وطابع المدينة إسلامي تضمن العديد من المساجد ومسجد جامع، والمدينة كانت مقصداً لاوزبك خان فيها يستقبل ويرعى العلماء الوافدين اليها، ولا تقل مدن شبه جزيرة القرم الرئيسة عن دورهم الثقافي الإسلامي النشط آنذاك في هذه البلاد الى جانب دور مدينة الماجر، جميعهم كانت الثقافية الإسلامية وعلومها لها الدور الريادي في التطور الحضاري لخانية مغول القفجاق.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

١- ابن الأثير، أبا الحسن بن أبي الكرم الشيباني الجزري: الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.

٢- البانكتي، أبو سليمان: روضة أولى الألباب في معرفة التواريخ والانساب المشهورة بتاريخ البانكتي، ترجمة، محمود عبد الكريم علي، منشورات المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٣- ابن بطوطه، أبو عبدالله محمد بن عبدالله الطنجي: رحله بن بطوطه المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار، شرحه وكتب هوامشه طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١م.

٤- ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن يوسف: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق احمد يوسف نجاتي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م.

٥- الجويني، عطا ملك: تاريخ فاتح العالم جهانكشاي، نقله عن الفارسية: محمد التونجي، دار الملاح للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٨٥م.

٦- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي: تاريخ ابن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧١م.

٧- الرمزي، م. م: تلفيق الاخبار وتلقيح الاثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، منشورات محمد علي

بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

٨- ابن عربشاه، أحمد بن محمد: عجائب المقدور في نوائب تيمور، تحقيق: أحمد فايز الحمصي، بيروت، ١٤٠٧م.

٩- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي: تقويم البلدان، مكتبة المثنى، بغداد.

١٠-ابن فضل الله العمري، شهاب الدين احمد بن يحي: مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت.

١١-ابن فضلان، احمد بن عباس بن راشد بن حماد: رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالية، تحقيق، محمد سامي الدهان، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، دمشق، ١٩٥٩م.

١٢-القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي: صبح الاعشى في صناعة الإنشا، طبع مصر.

١٣-المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرحه وقدم له، مفيد محمد، منشورات دار الكتب العلمية.

١٤-المقريزي، تقي الدين ابو العباس أحمد بن علي: السلوك لمعرفة دول الملوك، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧م.

١٥-المنصوري الدوادار، ركن الدين بيبرس: زبدة الفكر في تاريخ الهجرة، تحقيق، دونالد ريتشارد، منشورات الشركة المتحدة، بيروت، ١٩٩٨م.

١٦-الهمذاني، رشيد الدين فضل الله: جامع التواريخ "تاريخ خلفاء جنكيز خان من اوكتاي قا ان الى تيمور قا ان"، ترجمة، فؤاد عبد المعطي الصياد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣م.

ثانياً: المراجع:

١- أرنولد، سير توماس: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة، حسن إبراهيم حسن وأخرين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.

٢- بارتولد: تاريخ الترك في اسيا، ترجمة، أحمد سعيد سلمان، مكتبة الانجلو المصرية.

٣- باشا، حسن: الألقاب الإسلامية، القاهرة، ١٣٧٧هـ.

٤- بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية نبيه امين فارس ومنير البعلبكي،

دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٧م.

٥- بيان، ف: جنكيزخان سفاح الشعوب، ترجمة، صوفي عبدالله، دار الهلال بمصر، ١٩٥١م.

٦- جاكسون، بيتر: المغول والعالم الإسلامي، ترجمة، منى زهير الشايب، منشورات المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٧- خرباوي، باسيلوس: تاريخ روسيا منذ نشأتها حتى الوقت الحاضر، طبعة نيويورك، ١٩١١.

٨- الدواربي، اسماعيل عبد الرحمن: إسلام المغول واثره العسكري والسياسي في قارتي اسيا واوربا (٦٥٣-١٢٧٧هـ/١٢٥٥-١٨٥٨م)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة ام درمان الإسلامية، ٢٠١٢م.

٩- السرجاني، راغب: الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة.

١٠- شبولر، برتولد: العالم الإسلامي في العصر المغولي، ترجمة، خالد أسعد، دار أحسان للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٢م.

١١- الصياد، فؤاد عبد المعطي: المغول في التاريخ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠م.

١٢- الطائي، سعاد هادي حسن ارحيم: دراسات في تاريخ الترك والمغول، منشورات دار مكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٥م.

١٣- طقوش، محمد سهيل: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند، منشورات دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٧م.

١٤- عبد الحليم، رجب محمد: انتشار الإسلام بين المغول، منشورات دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٦م.

١٥- العريني، السيد الباز: المغول، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٧م.

١٦- العريني، السيد الباز: المماليك، دار النهضة العربية، ١٩٦٧م.

١٧- القزاز، محمد صالح داؤود: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، مطبعة القضاء، النجف، ١٩٧٠م.

١٨- غروسيه، رينيه: جنكيزخان قاهر العالم، نقله إلى العربية، خالد أسعد عيسى، منشورات دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٢م.

١٩- كيتشانوف بي. أ: حياة تيموتشجين (جنكيز خان) الذي فكر في السيطرة على العالم، ترجمة، طلحة الطيب، منشورات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ٢٠٠٥م.

٢٠- مان، جون: كوبلاي خان ملك المغول الذي أعاد بناء الصين، ترجمة، أحمد لطفي، منشورات هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، ٢٠١٣م.

٢١- لامب، هارولد: جنكيز خان وجحافل المغول، ترجمة، متري أمين، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٢م.

٢٢- لامب، هارولد: جنكيزخان امبراطور الناس كلهم، ترجمة، بهاء الدين نوري، مطبعة السكك الحديد العراقية، بغداد.

٢٣- النجار، رغد عبد الكريم: امبراطورية المغول "دراسة تحليلية عن التاريخ المبكر للمغول وتكوين الامبراطورية والصراعات السياسية على السلطة ٦٠٣-٧٦٦هـ/١٢٠٦-١٢٢٦٥م"، منشورات دار غيداء، عمان – الأردن، ٢٠١٢م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

١- Howarth, Henry: The History of Mongol from the ٩th to the ١٩ Century, London, ١٨٨٠.

٢- Spulers, Bertold: Die Golden Horde Die Mongol in Rubland, wies paden, ١٩٦٥.

٣- Vladimircov, B. Y: Gengizhan, Ceviren, Hasan Aliediz, Bilim Eser Lieri Serisi.